من تراب الطريق (٤٧٥) المرايا المعوكسة(*)

لم يستطع أحد، مهما كان متحيزًا ضد النادى الأهلى أو كارهًا له، أن يمارى فى شناعة ما ارتكبه حارس مرماه الذى هرب بليل من أكثر من عامين، وفاجأ الجميع بمغادرة البلاد إلى حيث ألقت، بينما كان يتدرب فى اليوم السابق مع فريقه، وفى عز الموسم. لم يمار أحد فى شناعة هذا التصرف غير المسبوق فى دنيا الرياضة لا فى مصر ولا فى غيرها من بلدان العالم، وألحق بفعلته الشنعاء أضرارًا بالغة بالنادى الأهلى المصرى الذى هرب منه بليل، إلى نادٍ أجنبى مغمور فى سويسرا .. ومع اتفاق الجميع على إدانة هذا التصرف المعيب، فإن أحدًا لم يصف حارس المرمى الهارب بأنه لص أو محتال، بل لم يعدم من يلتمسون له الأعذار تبعًا للون الذى يشجعونه، وشرعت أقلام وأبواق تعارض الإيقاف الذى قضت به المحكمة الرياضية الدولية جزاء الفعلة النكراء، محتجة بمصلحة المنتخب القومى ألاّ يحرم من مساهمة اللاعب فى صفوفه، فلما انتهت التعلّة، اختلقت أعذار جديدة لتبرير ما لا يمكن تبريره، ولم يجد النادى الإسماعيلى ثم نادى الزمالك، لم يجدا بأسًا من الإغضاء عمّا فعل وعن الإيقاف، والتعاقد معه على التوالى، وليبذل كل منهما ما بوسعه للتخلص من الإيقاف أو إرجائه بأى وسيلة .. وطوال مدة تقترب الآن من ثلاثة أعوام لم تُنفذ الغرامة المالية أو الإيقاف المحكوم بهما حكما نهائيا، ولم يحصل النادى الأهلى المصرى - لاحظ المصرى ! - على حقه المفتأت عليه،

(*) المال ١٠/٨/٢٠١٠ .

ومع ذلك لم تنفعل الأقلام الملونة ، ولم تعلق على تراخى تنفيذ العقوبة طوال هذه السنوات ، ولا وصفت فعلة اللاعب بأنها لصوصية أو نعتته بأنه لص !

تذكرت ذلك وأنا أطالع صفحة إحدى صحفنا الخاصة وقد امتلأت عن آخرها بمانشيتات تصف اللاعب المصرى عماد متعب ابن النادى الأهلى المصرى بأنه لص ومحتال ، وتتبنى وجهة نظر النادى البلجيكى ، وتختار هى الأخرى ما تشاء من النعوت الموغلة فى السب والقذف ، فتنعت اللاعب بأقذع الألفاظ والإهانة ، وتتجاوز اللاعب إلى النادى الأهلى المصرى ـ لاحظ المصرى ! فتنسب إليه بلا منطق ولا حجة ولا دليل ـ أنه ساعد اللاعب على تدمير مستقبله وهيّأ له أن يُفْصل من الجامعة الخاصة التى يدرس فيها ، لا لشىءٍ إلاّ ليحل طلبه للتجنيد فيجد مسوغًا لإنهاء تعاقده مع النادى البلجيكى بطريقة ودية من المفترض أن يرد خلالها ما تقاضاه إن كان قد تقاضى شيئا .

توقفت طويلا إزاء هذه المرايا المعكوسة التى لم تجد بأسًا فى مفارقة لاعب مصرى لناديه الأهلى المصرى للالتحاق بنادٍ سويسرى أجنبى غير مصرى ، بينما تجد كل البأس على لاعب مصرى آخر بتهمة أنه يريد الرجوع ـ وديًّا ـ فى اتفاقه مع النادى البلجيكى ليعود إلى ناديه الأهلى المصرى . وتوقفت متعجبًا من الرغبة المحمومة فى نسف اللاعب وتدميره بنعته بأنه لص ، مع أنه لا ولم ينازع فى حق النادى البلجيكى أو فى استعداده لرد الأوضاع إلى ما كانت عليه ، فإذا كان عـذر التجنيد مفتعلا حسب اتهام الجريدة ، فإن التجنيد سوف يحل بالضرورة بعد شهور قليلة حتى وإن لم يفصل اللاعب من الجامعة الخاصة ، ومن ثم فإن قصارى ما يمكن نسبته إلى اللاعب أنه

غلبه تعلقه بوطنه ، ولم يستطع المضى فى العيش بعيدا عنه ، فآثر أن يعود إلى أحضان بلده . فماذا فى هذا ينطوى على اللصوصية ، ولماذا كل هذا الهجوم الشرس ورغبة التدمير لمجرد أن اللاعب يريد وديًّا فسخ تعاقد استبان له أنه غير قادر على الوفاء به ؛ لأنه ببساطة لم يستطع أن يبقى بعيدا عن وطنه ، ولماذا يصير طلب الفسخ وهو تصرف قانونى ، لماذا يصير لصوصية ويصير اللاعب لصًا ، مع أنه لا ينازع فى حقوق النادى البلجيكى ، وليس فى إمكانه بداهة أن يلزمه بالكف عن المقاضاة بطلب تعويض إن كان له مقتضى !

فلماذا إذن يُنْعت اللاعب بأنه لص ، ولماذا التمادى باختلاق ذرائع وهمية لمهاجمة النادى الأهلى المصرى وجره إلى مشكلة ليس طرفا فيها ، والتجديف بلا منطق بأنه يعاون اللاعب على تدمير مستقبله بافتعال فصله من الجامعة الخاصة ؟! هل تبرر الانحيازات للأندية هذا التعاكس فى الرؤية ، فلا ترى المرايا المعكوسة هذا التضاد والانحياز البغيض الذى لم يعد يميز بين الوطنى والأجنبى ، ولا بين الهروب بليلٍ وبين طلب الفسخ الودى فى العلن ورد الأوضاع إلى ما كانت عليه .

فارق فى المسئولية ، بين القصد والتعمد المنطوى على هروب خفى ـ فى عز الموسم ـ مقرون بالتحلل من الالتزامات والإضرار بنادٍ مصرى عاش فيه الحارس الهارب سنوات طوالا حقق فيها لنفسه مجدًا وثروة ، وبين عجزٍ عن تنفيذ عقد مستجد صدق طالب الفسخ مع نفسه حين اتضح له أنه لن يستطيع العيش خارج بلده ومغالبة حنينه إلى وطنه ، فأفصح عن رغبته فى علانية والتزام بحقوق النادى البلجيكى !

من حق النادى البلجيكى أن يغضب ، ومن حق الناقد المنصف أن يلوم اللاعب على عدم تقديره الأمور من البداية تقديرًا صحيحًا ، ومن الوارد أن يتلقى اللاعب عقوبة على تعاقده ثم تراجعه وطلبه الفسخ ، ولكن ذلك كله لا يبرر وصف اللاعب باللصوصية أو نعته بأنه لص ، ولا يبرر التهجم بلا منطق ولا حجة على النادى الأهلى .. هذا الصرح المصرى الذى يبدو أنه الهدف ، وأن ألوان الانحيازات البغيضة الراقدة فى الأعماق ، هى التى دعت إلى هذا التحامل الشديد على اللاعب ، تحاملًا ترك النقد - وهو مباح ومقبول - إلى الشتم والسب والقذف بأقذع النعوت والأوصاف والألفاظ !!

*****